

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أَهْلُ التَّقْوَى
ناجون، وأهل
الظلم في النار
باقون

بعد أن ذكر ﷺ أَنَّ الْكَلَّ سِيرِدُ النَّارِ وَرَوَدَ دُخُولٍ أَوْ مَرُورٍ عَادِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ هُنَا؛ لِيُبَيِّنَ لَنَا أَنَّهُ سَبَحَانَهُ سَيَفْصِلُ بَيْنَ الْعِبَادِ فِي أَمْرٍ ذَلِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ مَرًّا أَوْ دَخَلَ، لِيَرَى مَا يَنْتَظِرُ الْأَشْقِيَاءَ فِيهَا، ثُمَّ تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِمْ، أَمَّا الْأَشْقِيَاءُ الظَّالِمَةُ فَهُمْ بَاقُونَ فِيهَا يَصْطَلُونَ حَرًّا وَلَهِيْبًا، لَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْهَا الْبَتَّةَ.

❁ شَرْحُ الْمُرَادَاتِ:

(1) ﴿نُنَجِّي﴾: (نجو) أصْلَانِ، يُدْلُ أَحَدُهُمَا عَلَى كَشْطٍ وَكَشْفٍ، تَقُولُ: نَجَوْتُ الْجِلْدَ أَنْجَوْهُ - وَالْجِلْدَ نَجَاً - إِذَا كَشَطْتَهُ، وَنَجَا الْإِنْسَانُ يَنْجُو نَجَاةً، وَنَجَاءً فِي السَّرْعَةِ؛ وَهُوَ مَعْنَى الذَّهَابِ وَالْإِنْكَشَافِ مِنَ الْمَكَانِ⁽¹⁾، وَ"أَصْلُ النَّجَاءِ: الْإِنْفَصَالُ مِنَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: نَجَا فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ وَأَنْجَيْتُهُ، وَنَجَّيْتُهُ، وَقِيلَ: أَصْلُهُ مِنَ النَّجَاةِ، وَهُوَ أَنْ تُعَاوَنَهُ عَلَى مَا فِيهِ خَلَاصُهُ، أَوْ أَنْ تَنْجُو بِسَرِّكَ مِنْ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْكَ"⁽²⁾.

(2) ﴿وَنَذَرُ﴾: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: أَمَاتَتِ الْعَرَبُ الْفِعْلَ مِنْ وَذَرَ فِي الْمَاضِي، فَلَا يَقُولُونَ وَذَرْتُهُ⁽³⁾، "وَذَرْتُهُ أَذَرُهُ وَذَرًا تَرَكَتُهُ"⁽⁴⁾، وَ"قَوْلُهُمْ: ذَرَهُ وَاحْذَرَهُ، أَي: دَعَهُ، وَقَالُوا: هُوَ يَذَرُهُ تَرَكًَا، وَلَا تَقُلْ: وَذَرًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَمَاتُوا مَصْدَرَهُ وَمَاضِيَهُ"⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نجو).

(2) الرَّاغِب، المفردات: (نجو).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وذر).

(4) الفَيَّومِي، للصباح النبوي: (وذر).

(5) الرِّيْدِي، تاج العروس: (وذر).

❖ المعنى الإجمالي:

بعد مرور الخلائق كلهم على الصراط والنار، نُنجي الذين اتَّقوا ما يوجب النار، وهو الكفر بالله ومعاصيه، نُنجيهم من الوقوع في النار، فيَمَرُّون على الصراط بإيمانهم وأعمالهم، ونُبقِي الكافرين والعصاة في النار، جاثين على رُكبهم، لا يستطيعون الخروج، ولا يبقى في النار إلا مَنْ وجب عليه الخلود، أمَّا العصاة من المؤمنين فيخرجون بعد العذاب على معاصيهم.

ورود النار
حتم، ونجاة
المتقين مُتحققة،
وهلاك الكافرين
بنارها حاصل

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾:

ثُمَّ في الآية على غير ظاهرها، فهي "للتَّرتيبِ الرُّتبيّ؛ تنويهاً بإنجاء الذين اتَّقَوْا وتشويهاً بحال الذين يبقون في جهنم جُثيًا، فالمعنى: وعلاوةً على ذلك تُنجي الذين اتَّقَوْا من ورود جهنم، وليس المعنى: ثُمَّ يُنجي المتقين من بينهم، بل المعنى أنهم نَجَوْا من الوردِ إلى النار"⁽¹⁾.

الله تعالى يُنجي
الذين اتَّقَوْا من
ورود جهنم

دلالة التعبير بالمضارع ﴿نُنَجِّي﴾:

التعبير بالمضارع للدلالة على التَّجدُّد والاستمرار لهذه النِّجاة مع استحضار الصورة الماضية لنجاتهم، وصيغة المضارعة في ﴿نُنَجِّي﴾ تلاحظ آثار النِّجاة في أهل النِّجاة وعليهم، فهي التي تتجدد عليهم وفيهم.

النِّجاة من النار
فورٌ عظيم

دلالة التَّضعيف في ﴿نُنَجِّي﴾:

استعمل القرآن صيغة التَّضعيف: ﴿نُنَجِّي﴾ مبالغةً في التَّنجية أو النِّجاة، وكأنَّها نِجاةٌ لا تنقطع عن أيٍّ أحدٍ منهم تَكْرِمةً لهم لهم، وتعظيمًا لأمرهم

نجاة المتقين لا
تنقطع عن أيٍّ
أحد منهم تَكْرِمةً
لهم، وتعظيمًا
لأمرهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 146 / 16.

وتعظيمًا لأمرهم من قبيل الزيادة في المبنى زيادة في المعنى دلالة على كثرة النجاة والناجين، فهي نجاة متكررة، ومن أجل ذلك أخرج القرآن التنجية والنجاة في صورة المضارع؛ لاستحضار ذلك الشيء العظيم.

الغرض من اسم الموصول ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾:

الاسم الموصول من الأسماء المبهمة، ولهذا يحتاج إلى صلته دائماً؛ لأنها تزيل إبهامه، وعُبر باسم الموصول هنا لكونه الوسيلة الوحيدة للمعرفة بأمر هؤلاء، ولقصد تعظيم أمرهم، وهو الحث على ما فعلوه من أمر التقوى، ولزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو بيان منزلتهم من هذه التقوى، التي كانت سبباً في نجاتهم من النار مع ما في التعبير بالفعل الماضي ﴿اتَّقَوْا﴾ من تحقق هذه التقوى وحصولها منهم، وقد يكون الفعل في مواطن كثيرة أوفى في أداء المراد من الكلام من الاسم الدال على الثبوت والاستمرار.

نكتة النص على التقوى دون غيرها:

المراد بـ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هنا الذين اتقوا الكفر، ومن اتقى الكفر فهو مسلم ومؤمن وتقي، فلفظ التقوى هنا من قبيل إطلاق العام، وهو شامل للإيمان، والإسلام جامع لهما، "قال ابن عباس: هو الحق الذي يشهد الدليل بصحته؛ وذلك لأن من آمن بالله وبرسله صح أن يقال: إنه متق عن الشرك، ومن صدق عليه أنه متق عن الشرك صدق عليه أنه متق؛ لأن المتقي جزء من المتقي عن الشرك، ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد"⁽¹⁾.

دلالة العطف بالواو في قوله: ﴿وَنَذَرُ﴾:

"وجملة ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ عطف على جملة ﴿وَأَن

التَّقْوَى كَانَتْ
سَبَبًا فِي نَجَاةِ
أَهْلِهَا مِنَ النَّارِ

التَّقْوَى بَابٍ
جَامِعٌ شَامِلٌ
لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ

لَا يَسْتَوِي
الْمُتَّقُونَ وَالظَّالِمُونَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 11 / 246.

مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا»⁽¹⁾ أو هي معطوفة على قوله: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا»؛ لبيان الفصل بين الطوائف من ناج مسلم، إلى مخدوش مكدوس في نار جهنم، والواو مُطلق الجمع دون الدلالة على أنَّ الثاني بعد الأول أو قبله أو معه؛ لذا جاز الوجهان.

نكتة التعبير باسم الفاعل ﴿الظَّالِمِينَ﴾:

"خولفَ بين قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا﴾ وقوله سبحانه: ﴿الظَّالِمِينَ﴾؛ ليؤذنَ بترجيح جانب الرحمة، وأنَّ التَّوْحِيدَ هو المنجِّي، والإشراكُ هو المردِّي، فكأنَّه قيل: ثُمَّ نُنَجِّي مَنْ وُجِدَ مِنْهُ تَقْوَى ما، وهو الاحترازُ مِنَ الشَّرِكِ، ونُهْلِكُ مَنْ اتَّصَفَ بِالظُّلْمِ؛ أي: بالشَّرِكِ وثَبَّتَ عليه"⁽²⁾، وهذا فَتْحُ لباب التَّوْبَةِ والرجوع إليه سبحانه، وإغلاقُ لباب المعصية والشَّرِكِ والكفر، والسُّورَةُ مؤسَّسَةٌ على رحمة الإحسان الرَّبَّانِيَّ.

سرُّ التعبير بمادة ﴿الظَّالِمِينَ﴾:

لفظُ الظَّالِمِينَ لفظٌ جمعٌ يدلُّ على العموم، وهو هنا ظلمُ الكفر، وهو شاملٌ للكفر والشَّرِكِ والإجرام، كما فسَّره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، فشملَ التعبيرُ بهذا الوصفِ جميعَ ما يناسبه مِنَ الكفر والشَّرِكِ والإجرام وغيرها، فظهر بهذا صَحَّةُ مقابلته للتَّقْوَى الَّتِي هي مِنَ الكفر والشَّرِكِ؛ وإنَّ كان تقابلُهما خفياً في الظَّاهر.

سرُّ التعبير بـ (في):

دلالة الظَّرْفِيَّةِ في قوله: ﴿فِيهَا﴾ على التَّمَكُّن والاستقرار في جهنَّمَ؛ حيثُ إنَّها تحيطُ بهم إحاطةَ الظَّرْفِ بالمظروف، فالنَّارُ تحيطُ بهم إحاطةَ السَّوَارِ بالمِعَصَم، والعياذُ بالله تعالى؛ لأنَّ الكفر والشَّرِكَ أحاطا بنفوسهم وقلوبهم، فتمكَّن منها، ورسخ فيها؛ ولهذا عُبِّرَ عنهم بالصَّيْغَةِ الدَّالَّةِ على عراقتهم في الظُّلْمِ ﴿الظَّالِمِينَ﴾.

الثَّبات على
الظُّلم يؤدي
إلى الثَّبات في
العذاب

إِنَّ الشَّرْكَ ظُلْمٌ
عَظِيمٌ

استقرارهم في
جهنَّمَ يحيط
بهم إحاطة
السَّوار بالمِعَصَم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 146 / 16.

(2) الألوسي، روح المعاني: 123 / 16.

تَرْكُ الظَّالِمِينَ
لَا يَكُونُ إِلَّا فِي
جَهَنَّمَ

الظَّالِمُونَ فِي
النَّارِ مُخَلَّدُونَ
فِيهَا، جَائُونَ
عَلَى رُكْبِهِمْ،
عَاجِزُونَ مِنْ
شِدَّةِ مَا يَصِيبُهُمْ

إِحْضَارُ الْمُنْكَرِ
الْبَعْثِ عَلَى أَذَلِّ
صَوْرَةٍ

سُرُّ التَّعْبِيرِ عَنْ جَهَنَّمَ بِالضَّمِيرِ:

قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ سبقه ذِكْرُ جَهَنَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، وَلَكُونُ تَرْكِ الظَّالِمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي جَهَنَّمَ فَقَدْ أَغْنَى سَبْقُ ذِكْرِهَا عَنْ إِعَادَتِهَا؛ لَكُونِهَا أَمْرًا مَعْلُومًا لَدَى السَّمَاعِ أَوْ الْمُخَاطَبِ، وَلِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ دَالٌّ عَلَيْهَا، وَلِأَنَّ الْهَوْلَ الَّذِي يَفِضُ مِنَ الْآيَاتِ يَجْعَلُ الْمُتَلَقِّيَ عَلَى ذِكْرِ مِنْهَا؛ مَا دَامَ فِي تَلَقِّي عُنَاوَرِ هَذَا السِّيَاقِ.

سُرُّ إِعَادَةِ لَفْظِ ﴿جِثِيًّا﴾:

الْجِثْوُ هُنَا فِي تَذْيِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ خَلُودٌ؛ وَالْمَعْنَى: (نَتْرَكُ الظَّالِمِينَ فِي النَّارِ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا، جَائِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ، عَاجِزِينَ عَنِ الْحَرَكَةِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ هَوْلِهَا وَسَعِيرِهَا)، أَمَّا الْجِثْوُ فِي آيَةِ الْإِحْضَارِ فَهُوَ جِثْوٌ خُضُوعٌ وَإِذْلَالٌ لِانْتِظَارِ الْحِسَابِ، جَائِينَ قَاعِدِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ لِمَا يَصِيبُهُمْ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَكِلْتَا الْحَالَتَيْنِ تَصَوِيرٌ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ.

النَّشَابَةُ اللَّفْظِيَّةُ فِي الْآيَةِ:

أَوَّجَهُ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِفْتِرَاقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنُحْشِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ [الْجَائِيَةُ: 28 - 27]:

الْآيَاتُ هُنَا إِحْضَارٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ الْبَعْثِ، "وَهَذَا الْإِحْضَارُ يَكُونُ قَبْلَ إِدْخَالِهِمْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى يُحْضِرُهُمْ عَلَى أَذَلِّ صَوْرَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جِثِيًّا﴾؛ لِأَنَّ الْبَارِكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ صَوْرَتُهُ صَوْرَةُ الدَّلِيلِ، أَوْ صَوْرَتُهُ صَوْرَةُ الْعَاجِزِ، فَإِنْ قِيلَ: هَذَا الْمَعْنَى حَاصِلٌ لِلْكُلِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ [الْجَائِيَةُ: 28]، وَالسَّبَبُ فِيهِ جَرِيَانُ الْعَادَةِ أَنَّ النَّاسَ فِي مَوَاقِفِ الْمُطَالِبَاتِ مِنَ الْمُلُوكِ، يَتَجَاوُونَ عَلَى رُكْبِهِمْ لِمَا

في ذلك من الاستنظار والقلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر، الذي لا يطيقون معه القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا عامًّا لكل؛ فكيف يدلُّ على مزيد ذلِّ الكفار؟ قلنا: لعلَّ المراد أنَّهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة، وذلك يوجب مزيد الذلِّ في حقِّهم⁽¹⁾، والجثَّوان مختلفان، فالجثُّ المذكور في سورة مريم جثُّ حول جهنم، وهو جثُّ مذلة وإهانة وتحقير، والجثُّ المذكور في سورة الجاثية الذي هو للعموم، فهو جثُّ خضوع لله تعالى، وهو عامُّ لجميع أهل الموقف، فأما المؤمنون فإلى نجاة ينجون بها، وأما الظالمون فهم متروكون في جهنم يصلونها بحرًّا وسعيها، جاثون حولها، لا يهتدون إلى وجه يخلصون به منها.

(1) الألوسي، روح المعاني: 16 / 123.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»